القــرآن الكــريم

في مادة «قرآن» يدعي بوهل أنه ليس هناك إجماع بين المسلمين على نطق هذا اللـفـظ(١). وهو كلام لا أساس له من الصحة. وكل ما يقصده الكاتب بهذه العبارة الطنانة أن كلمة «قرآن» تُنْطَق مهموزة أو بتسهيل الهمزة. وقد استقر الأمر على الهمز، حتى إنني لم أسمع أحدًا طوال حياتي ينطقها «قُرَان». لكن المستشرق كاتب المادة يريد الإيهام، جاعلاً من الحبة قبة ضخمة عالية تسد الفضاء وتناطح الجوزاء.

وهو يؤكد أن الوحي الذي كان الرسول يتلقاه ليس هو القرآن الذي نقرؤه الآن. ذلك أنه يرى أن هذا الوحي قد أعيدت صياغته بحيث أخذ الشكل الحالي المسجوع(٢).

وهذا، كما ترى، كلام لا ينهض على أساس، ويستطيع أي جاهل أو معاند أن يقول مثله كثيراً. لكن السؤال في مجال العلم دائمًا هو: أين الدليل؟ وما السبب الذي حدا بالكاتب إلى هذا الكلام؟ إنه لو تُرِك باب الادعاءات والمزاعم مفتوحًا على هذا النحو لما كان هناك علم ولا علماء.

أيظن ذلك المستشرق أن هذا الكلام السخيف يجوز في عقل أحد؟ كيف ولو كان حدث ذلك لشنّع به الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم وأبدى المسلمون استغرابهم على الأقل وتساءلوا عن السبب الذي جعل الرسول يغيّر نصوص الوحي

---

(١) ١/٢٧٣.

(٢) ١/٢٧٥ (وقد وقع خطأ مطبعي فيما يبدو في ترجمة د. راشد البراوي، إذ كتب كلمة «السجع» على أنها «السمع»/٢/٨٠٤/١/ سطر ١٧). وانظر أيضًا مادة «محمد» ٢/٣٩٣، و١/٣٩٤، حيث يقول نفس الكاتب إن ما كان يسمعه الرسول عليه السلام من وحي ليس هو ما نراه اليوم في القرآن، إذ كان لا يتلقى إلا الأساسيات، التي يتوسع فيها بعد ذلك.

على هذا النحو؟ ذلك أنه غالبًا ما كان ينزل عليه الوحي وهو بين الناس فيتلوه عليهم في الحال. وعندنا حادثة ارتداد عبد الله بن سعد بن أبي السرح، الذي كان من كتاب الوحي في مكة، وادعى أنه كان يغيّر فواصل الآيات حين كتابتها فيجعلها «غفور رحيم» بدلاً من «عزيز حكيم» مثلاً(٣). فهذا الخبر يدل على أن القرآن قد نزل من السماء ذا فواصل منذ البداية لا أنه كان مُرْسَلا ثم أعيدت صياغته في قالب من السجع بعد ذلك. وإن اتهام الكفار له صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر وقولهم إن القرآن شِعْر لما يعضّد هذا، إذ إن الفواصل في النثر تقابل قوافي الشعر، وهو ما استغلته قريش في دعواها وإيهامها الناس أن الوحي الذي جاءهم به الرسول ما هو إلا شعر وقصيد. كذلك فسور القرآن مقسمة إلى آيات، لا يشاحّ أحد في ذلك ولا بوهل نفسه. فهل يتصور بوهل إمكان تقسيم القرآن على هذا النحو لو لم تكن هناك فواصل؟ وإن حرص المتنبئين الذين ظهروا بعده صلى الله عليه وسلم على السجع فيما يدّعون أنه وحي أُوحيَ إليهم دليل على أن القرآن قد نزل منذ البداية هكذا، وإلا لأتى بعضهم على الأقل بكلام منثور مرسل قائلين إن هذا هو الأسلوب الذي كان ينزل به الوحي على محمد قبل أن يغيّره ويعيد صوغه. ثم ما الذي يجعل محمداً صلى الله عليه وسلم يُقْدم على هذا العمل المزعوم؟ كذلك فإننا نقرأ في القرآن أمرًا للرسول عليه السلام أن **﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾**(٤). فكيف يمرّ هذا الذي زعمه بوهل دون أن يثير سخرية الكفار ودهشة المسلمين وهم يرون أن الرسول يبدل النص القرآني إلى غير حالته التي أعلنها لهم أول مرة، إذ يصوغه من جديد بذلك الأسلوب المختلف تمامًا؟ وأخيرًا، هل عثر بوهل

(٣) انظر «أسباب النزول» للسيوطي/ سبب نزول الآية ٩٣ من «الأنعام».

(٤) يونس: ١٥.

على شيء من نصوص الوحي الأصلية (حسب زعمه) جعله يقول ما قال؟ أم على الأقل هل هناك رواية فهم منها هذا؟ إنه لا هذا ولا ذاك، لكن الشياطين لا يستحون! وإلا فما الذي يمكن قوله في رجل يأتي بعد أربعة عشر قرنًا فيدعي حدوث أشياء قبل هذه القرون لم يذكرها أحد ولا ألمح إليها أحد ولا أثارها أحد على أي نحو من الأنحاء؟ إن العجيب أن يقول بوهل إن القرآن حين نزل لم يكن ذا فواصل، مع أن المستشرقين يتهمونه صلى الله عليه وسلم بأنه كان يسجع في القرآن (أي أول نزوله) كما يفعل الكهان. فأي تضارب هذا! ألا يرى القارئ أن الإساءة إليه صلى الله عليه وسلم هي المقصودة في الحالتين؟

ويظن بوهل أنه قد عثر على مشكلة مستعصية الحل حين يقول إنه لا يمكن التوفيق بين فكرة وجود أصل للقرآن محفوظ في السماء وما وقع في القرآن من نسخ(٥)، مع أنه لا مشكلة في الأمر البتة، إذ إن الله سبحانه يعلم كل شيء قبل وقوعه، وعلى هذا فالأصل المحفوظ للقرآن في السماء يتضمن الناسخ والمنسوخ قبل أن يقع على الأرض ما يستدعي عملية النسخ. أم ترى بوهل يقيس الله علينا نحن البشر ويتصوره لا يعلم شيئًا إلا بعد حدوثه؟ أهذا هو مبلغ تصور الله عند من يتصدى لمعالجة هذه القضايا الخطيرة؟

كذلك يظن الكاتب أنه قد عثر على مشكلة أخرى يحرج بها المسلمين حين يشير إلى أن قول الرسول بأن الكتاب الذي أُنْزِل عليه وكذلك الكتب التي أنزلت على الأنبياء السابقين أساسها جميعًا الكِتَاب المحفوظ في السماء يدل على أنه لم تكن لديه فكرة عما في هذه الكتب(٦). يريد أن يقول إن كثيرًا مما جاء في الكتاب المقدس

---

(٥) ٢/٢٧٥.

(٦) نفس الصفحة والنهر.

عندهم يختلف عما في القرآن، فكيف يكون كلامه صلى الله عليه وسلم صحيحًا؟ ومن الواضح أن بوهل يتجاهل ما قرره القرآن من أن أهل الكتاب قد عبثوا بكتابهم وحرفوه، فزادوا ونقصوا وأظهروا منه وأخفوا(٧). أم هل يريدنا بوهل أن نعتقد أن العهدين القديم والجديد هما وحي إلهي؟ تُرَى أيمكن أن يوحي الله مثلاً أنه قد تصارع هو ويعقوب وأن يعقوب قد تفوق عليه، أو أن نوحًا قد سكر وتعرت عورته حتى رآه ولداه على هذه الحالة المزرية، أو أنه سبحانه قد ندم على ما فعله ببني إسرائيل، أو أنه قال إن موسى يستطيع أن يراه من ظهره وهو مارٌّ به، أو أن سليمان قد عصاه فتزوج من الأمم الأجنبية التي حرم الله عليه الزواج منها وأنه قد نزل على ميول زوجاته الوثنيات هؤلاء فصنع لآلهتهن أصنامًا وساعدهن على عبادتها وتقديم القرابين لها، أو أن داود قد زنى بزوجة قائد جيوشه وجاره ثم لم يكتف بذلك فتآمر على التخلص منه حتى يخلو له وجه امرأته وتم له ما أراد، أو أن الله (الذي هو المسيح) قد ظهر لبولس في السماء قبل أن يتنصر وعاتبه على اضطهاده له؟ أم هل يظن بوهل أننا يمكن أن نصدق أن هذا التاريخ الذي كتبه بعض بني إسرائيل للخليقة ولأمتهم بالتفصيل الذي نراه في كتابهم المقدس وبالأخطاء الكثيرة والشنيعة التي يعرفها من له إلمام بذلك الكتاب هو وحي إلهي؟ أم ترى استحال الله مؤرخًا لبني إسرائيل؟ ويا ليت الذي كتبه مع ذلك كان تاريخًا صحيحًا ودقيقًا وكلامًا خاليًا من الغلطات الحسابية والعلمية والتاريخية(٨)!

(٧) البقرة: ٧٥ ـ ٧٩، وآل عمران: ٩٣ ـ ٩٤، والنساء: ١٥٦ ـ ١٥٨، ١٧١، والمائدة: ١٣ ـ ١٤، ٤١، ٧١، ٧٧، والأنعام: ٩١... إلخ.

(٨) هناك دراسات كثيرة تتناول هذه الأخطاء والتحريفات في الكتاب المقدس، منها البابان الخاصان بالتوراة والإنجيل في «الفِصَل في الملل والنحل» لابن حزم، والبابان الأول والثاني من الجزء الأول من كتاب «إظهار الحق» لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، الذي ساق كثيرًا من أقوال العلماء الغربيين وأشار إلى عدد كبير من دراساتهم في هذا السبيل. وقد=

إن ما يقوله القرآن هو أن دعوة محمد عليه السلام لا تختلف عن دعوة إخوانه من الأنبيـاء والمرسلين، فكلهم يَدْعـون إلى الإيمان بـالله ووحـدانيـتـه وقـدرته وعلمـه الشامل المحيط وباليوم الآخر بما فيه من حساب وثواب وعقاب، ويحضون العباد على الفضـائل والأخـلاق الكريمة من صـدق وعـدل وتعـاون وتراحم وجـد وعـمل، ويعلمونهم أن كل نفس بما كسبت رهينة، وينهونهم عن القتل والزنا والظلم والكذب. أما إذا قرأنا في الكتاب المقدس عن أنبيـاء بني إسرائيل أنهم كانوا كذابين وزناة وقتلة وغدارين وأن منهم من صنع الأوثان وعبدها، أو أن ذنوب الآباء يرثـها الأولاد والأحفاد وأحفاد الأحفاد، فليس لهذا من معنى إلا أن القوم قد كتبوا هذا بأيديهم وادَّعَـوْا أنه من عند الله كما ذكر القرآن الكريم(٩)، إذ لا يعقل أن يكون هذا وحيًا إلهيًا، وإلا فعلى النبوة والوحي السلام. لقد كان أحرى ببوهل أن يغلق هذه الأبواب، ولكنه يأبى إلا أن يفتحها على نفسه.

ويشطح بوهل شطحة جد بعيدة، إذ يفقد اتزانه وعقله تمامًا مدعيًا أن عقيدة المسلمين في كمال أسلوب القرآن لا يوافق عليها كل من له بعض الإلمام بالأساليب وشيء من الذوق الأدبي، وأن ما فيه من أخطاء تعبيرية مرجعها إلى أن الرسول عليه السلام هو أول من حاول التعبير عن الأفكار التي في القرآن(١٠).

أورد ابن حـزم رحمـه الله عشرات الأخطاء التي لا يمكن تأويلها بحال أو المماراة فيها. ويجد القارئ في كتابي «موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم» (٣١ ـ ٤٠) أمثلة مما أظهره ابن حزم وعدد من الدارسين الغربيين من أخطاء وتناقضات في الكتاب المقدس انتهت بعلماء دينهم إلى القول بأن الوحى فى ذلك الكتاب إنما ينحصر فى الفكرة العامة، أما الصياغة والتفصيلات التاريخية والحسابية والعلمية فبشريّة يقع فيها الخطأ والجهل.

(٩) البقرة: ٧٩.

(١٠) ٢٧٥/ ٢.

وكنا نحب أن يدلنا ذلك المستشرق على شيء من هذه الأخطاء حتى يمكن مناقشة كلامه هذا. أما إلقاء الدعوى هكذا والإسراع بالانصراف فإنه يغل أيدينا عن ذلك[11]. وهل يظن من له مسكة من عقل وتفكير أن الكفار كانوا سيسكتون لو كان في القرآن أخطاء أسلوبية، وهو الذي قد تحداهم إلى الإتيان ولو بسورة (أيّ سورة) من مثله؟ لقد كان كل ما قدروا عليه أن قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾[12]، ومع ذلك لم يفعلوا. وهو قول يدل على أنهم كانوا يرون في أسلوب القرآن شيئًا يحفز على المنافسة والتقليد لا أنه كان فيه أخطاء كما يزعم هذا الأعجمي الذي قد تجاوز قدره تجاوزا مزريا. إن أسلوب القرآن هو المدرسة التي تخرج فيها أصحاب الأساليب الفحلة في الأدب العربي من مسلمين، وغير مسلمين أيضًا كالصابي وميّ زيادة ومكرم عبيد. فكيف فقد بوهل عقله على هذا النحو وادعى هذه الدعوى السمجة؟

يقول الكاتب النصراني نصري سلهب عن القرآن: «الواقع أن هذا الكتاب لسحر حلال، بل إنه دنيا من سحر. وإنه لمن المستحيل على غير العربي أو على غير الملمّ باللغة العربية أن يدرك ما فيه من جمال... تلك اللغة التي أرادها الله قمة اللغات كان القرآن قمتها، فهو قمة القمم... وليس القرآن بلاغة كلمة وجمال لغة فحسب، إنما هو لحن أزلي بل أنشودة خالدة فيها من الموسيقى ما يطرب ويدني من السماء.

(11) لمن شاء أن يرجع إلى الفصل الثالث من الباب الأول من كتابي «المستشرقون والقرآن» حيث يجد دعاوي لبلاشير حول أخطاء أسلوبية في القرآن وردودي على هذه الدعاوى بما يكشف جهل صاحبها ومجازفاته. وهناك أخطاء أخرى تشبه هذه في الدلالة على جهل مدعيها يستطيع القارئ أن يجدها في كتاب «رد مفتريات على الإسلام» للدكتور عبد الجليل شلبي (١٦٩ وما بعدها)، وقد ادعاها على القرآن بعض الأقباط وأدحضها وبين جهلَ مدعيها الدكتورُ شلبي.

(12) الأنفال: ٣١.

فليس هو بحاجة إلى أن يصاغ في لحن ليُنْشَد ويرتَّل، فلحنه من صلبه: في تقاطيع صوره، وهدهدة كلماته، وروائع سجعه. وإذا قُدِّر له صوت شجي جميل يتلو بعضًا من آياته فلا أعتقد أن عربيًا، مهما بلغ من الوقار، بوسعه أن يتمالك عن إطلاق تعابير الإعجاب عالية، معبّرًا بها عن طربه بل عن نشوته... وهذه الناحية عن عظمة القرآن ليعجز غير العربي أو غير مالك ناصية العربية عن تقديرها واستيعابها»(١٣).

هذا ما يقوله كاتب عربي غير مسلم يتذوق الأساليب ويستطيع التفرقة بين غثّها وثمينها. أما ما يقوله جَقَدة الأعاجم فهو لا يساوي ثمن الحبر الذي حُبِّر به.

ويرى بوهل فيما جاء في القرآن من أن عدم مشاهدة النبي بعض الحوادث التاريخية القديمة، كحادثة إلقاء زكريا ورجال المعبد أقلامهم اقتراعًا لمعرفة من منهم يكفل مريم(١٤)، هو دليل على أن ما رواه عن هذا الأمر وحي إلهي، يرى بوهل في ذلك برهانًا ساذجًا لا يقنع أحدًا(١٥).

والحقيقة أنه لا سذاجة في هذا، إذ إنه إما أن يكون هذا فعلاً وحيًا إلهيًا أو أن أحدًا من أهل الكتاب أو ممن اتصل بهم قد رواه له. ومنذ أن جاء محمد عليه السلام بدعوته حتى الآن لم نسمع أن أحدًا من معاصريه قد انبرى يذكر أنه هو الذي عرّفه بهذه القصص. لقد اتُّهِم عليه السلام بأنه قد تعلم من هذا أو ذاك من البشر، فلماذا لم يؤمِّن على هذا الكلام أحد أولئك الذين اتُّهِم صلى الله عليه وسلم بالتعلم منهم؟ فأي فشل وخسران أفدح مما باء به أولئك المتهمون ومن جرى وراءهم وعلى رأسهم المستشرقون! هذا هو وضع القضية ببساطة شديدة، فأين السذاجة في

(١٣) نصري سلهب/ في خُطًا محمد/٣٤١ ـ ٣٤٥.

(١٤) آل عمران: ٤٤.

(١٥) ٢/٢٧٦، ١/٢٧٧.

البرهان الذي أتى به القرآن؟(١٦)

ومن مزاعمه العجيبة التي ينفغر الفم لها دهشة ولا ينقضي منها العجب دعواه أن القرآن لم يسجَّل كله عند نزوله، وأنه إذا كان كثير من الأوحاء المتأخرة قد سُجِّل فإن المسلمين في أوائل الدعوة لم يكونوا متنبهين لأهمية ما يتلوه عليهم الرسول، ولذلك لم يكونوا يدونونه في البداية، فضاع كثير من القرآن(١٧).

أما على أي أساس قال بوهل ذلك فلا أساس البتة، وإنما هو كلام مجرد كلام. ترى أيمكن أن نتصور أن ينشقّ أوائل من آمن بالرسول على قومهم ودينهم وأسلوب حياتهم معرضين أنفسهم للهلاك بسبب القرآن ثم هم مع ذلك لا يتنبهون لأهميته ولا يبالون بتسجيله حتى ليضيع جزء كبير منه في ذلك الوقت؟ وهذا كله على فرض أن الرسول لم يكن يأمر بكتابة كل وحي يتلقاه. أما وقد كان الرسول يفعل ذلك فإن كل ما قاله ذلك المستشرق يصبح مجرد فقاعات صابونية لا قيمة لها. وقد كان حول الرسول وهو في مكة عدد من الصحابة القارئين الكاتبين كأبي بكر وعثمان وعلي والزبير بن العوام والأرقم بن أبي الأرقم وعبد الله بن أبي بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله وأبي عبيدة بن الجراح وأبي سلمة وعبد الله بن سعد بن أبي السرح(١٨). ولعل هذا هو السبب في تكرر تسمية الوحي المحمدي في القرآن الكريم «بالكِتَاب»

---

(١٦) سبق أن عالجت هذه المسألة بشيء من التفصيل في كتابي «مصدر القرآن ـ دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحى المحمدى» ١١٥ وما بعدها.

(١٧) ٢٧٧/ ١.

(١٨) انظر ابن حديدة الأنصاري/ المصباح المضيّ في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي/ ١/٢٩، ٦٦، ٧٤، ٨٧، ١١٤، ١٦٤، ١٨٩، ود. محمد مصطفى الأعظمي/ كُتّاب النبي صلى الله عليه وسلم/٤٤ ـ ٤٩، ٥٢ ـ ٥٣، ٥٩ ـ ٦٠، ٧٤، ٨٣ ـ ٨٦، ٩١ ـ ٩٣، ١٠٧ ـ ١١٣، ١٢٧ ـ ١٣٤، ١٣٩ ـ ١٤٠، ١٤٧، ١٥٢ ـ ١٦٥، ١٦٦، ود.

منذ بواكير العصر المكي(١٩). على أن القرآن إنما كان مع ذلك كله محفوظًا في صدور المؤمنين في حرز حريز، أي أن الكتابة والذاكرة قد تضافرتا على حفظه كما نزل دون نقصان، وأيضًا دون زيادة.

وحتى نُرِي القارئ مبلغ المجازفة التي تَغَشْمَرها بوهل نذكر له أن الغلبة في القرآن إنما هي للوحي المكي(٢٠) وذلك رغم تقارب الفترتين المكية والمدنية في عدد الأعوام، إذ كانت هذه عشرة وتلك ثلاثة عشر على أشهر الروايات. ولو كان كلام بوهل صحيحًا لتغير الميزان لصالح الوحي المدني ولتكرر فيه وصف القرآن بـ «الكتاب» أكثر من تكرره في الوحي المكي، إذ هو الذي سُجِّل أكثره على زعمه على حين ضاع جزء غير قليل من القرآن المكي.

والعجيب أن بوهل بعد ذلك يعود ليقول في نفس الصفحة إن تحدي القرآن للكفار أن يأتوا بعشر سور من مثله دليل على أنه كان مكتوبًا بحيث يستطيعون أن يرجعوا إليه متى فكروا في معارضته(٢١).

=أحمد عبد الرحمن عيسى/ كُتَّاب الوحي/٢٤٥، ٢٥٨، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣٨، ٤٠٣، ٤٧١، ٤٧٥، ٤٩٣. وقد أورد محمد عبد العظيم الزرقاني (في «مناهل العرفان في علوم القرآن»/ ١/٢٤٦، ٣٦٧) ود. عبد الصبور شاهين (في «تاريخ القرآن/ ٥٣ ـ ٥٤) بعض هذه الأسماء.

(١٩) وردت تسمية القرآن في العهد المكي بـ «الكتاب» في المواضع التالية: الأحقاف/٢، ٤، ١٢، ٣٠، والجاثية/ ٢، وفصلت/ ٣، ٤١، وغافر/ ٢/ والزمر/ ١، ٢، ٤١، والسجدة/ = ٢، ولقمان/٢، والعنكبوت/٤٥، ٤٧، ٥١، والقصص/٢، والنمل/١، والشعراء/٢، والكهف/١، والنحل/٦٤، ٨٩، والحجر/١، وإبراهيم/١، والرعد/١، ويوسف/١، وهود/١، ويونس/١، والأعراف/٢، ١٩٦، والأنعام/٩٢، ١١٤، ١٥٥.

(٢٠) د. أحمد عبد الرحمن عيسى/ كُتَّاب الوحي/٢١٥.

(٢١) ٢٧٧/ ٢.

ويجترئ بوهل على القول بأنه ليس في سورة «الفاتحة» أي شيء إسلامي خاص بل على العكس فيها ألفاظ يهودية ونصرانية(٢٢).

ولكن أين هذه الألفاظ اليهودية والنصرانية يا ترى؟ كنا نود أن يدلنا الكاتب على شيء منها، ولكنه ألقى بقنبلته التشكيكية ومضى! أما عن الطابع الإسلامي للسورة الذي ينفيه بوهل فإننا نتساءل: أليست البسملة التي تبتدئ بها مثل سائر سور القرآن شيئًا إسلاميًا خاصًا في مقابل «باسمك اللهم»، التي كان وثنيو العرب يستعملونها (ويرفضون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾)، وفي مقابل «باسم الآب والابن والروح القدس»، التي عند النصارى مثلاً؟ أليست ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ شيئًا إسلاميًا خاصًا في مقابل اعتبار اليهود لله سبحانه إلهًا خاصًا ببني إسرائيل؟ أليست ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ شيئًا إسلاميًا خاصًا في مقابل صمت العهد القديم عن الكلام في الآخرة والحساب والثواب والعقاب؟ أليست ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ شيئًا إسلاميًا خاصًا في مقابل عبادة النصارى لعيسى عليه السلام واستعانتهم به، وفي مقابل عبادة المشركين للأوثان يتقربون بها إلى الله زلفى؟ أليست ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ التي تتبرأ من اليهود والنصارى شيئًا إسلاميًا خاصًا؟ إن هذا الذي يقوله بوهل لهو الهزل بعينه. ومع ذلك يراد منا أن نخرَّ على وجوهنا احترامًا لهذا السخف وأن نعده بحثًا علميًا موضوعيا!

ويقول أيضًا إن البعض (من هم أولئك البعض؟) الذين ينكرون الآيات التي يُلْعَن فيها خصوم الرسول ربما كانوا متأثرين بالنصرانية في موقفهم ذاك(٢٣) يقصد أن النصرانية ديانة رهيفة رقيقة لا تلعن خصومها وأن عيسى عليه السلام كان

(٢٢) ٢٨٠/ ١.

(٢٣) نفس الصفحة والنهر.

رسولاً للمحبة والرحمة لا يعرف الكلام العنيف ولا يدعو إليه أو يوافق عليه.

ولكن ماذا يقول بوهل في هذه الشتائم والعبارات الخشنة التي نسبها كتاب العهد الجديد لعيسى عليه السلام حقًا أو باطلا؟: «يا مرائي، أَخْرِج أولا الخشبة من عينك، وعندئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك»(٢٤). «لا تطرحوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قُدّام الخنازير»(٢٥) (يقصد من لا يستطيعون فهم دعوته). «يا قليلي الإيمان؟»(٢٦) (قال ذلك لتلاميذه في أحد المواقف). «هأنذا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب»(٢٧) (المراد بالذئاب الناس الذين أرسل تلاميذه إليهم). «ويل لك يا كورزين! ويل لك يا بيت صيدا»(٢٨). «جيل شرير وفاسق يطلب آية»(٢٩) (قالها ردًا على من طلبوا منه معجزة). «يا قليل الإيمان»(٣٠) (قالها لأحد تلاميذه). «هم عميان قادة عميان»(٣١) (يقصد الفريسيين). «ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب»(٣٢) (المراد بالبنين بنو إسرائيل، ومن عداهم هم الكلاب). «اذهب عني يا شيطان»(٣٣) (قال ذلك لبطرس أحد تلاميذه المقربين). «أحتى الآن قلوبكم غليظة؟ ألكم أعين ولا

---

(٢٤) متى/ ٧/ ٥.

(٢٥) متى/ ٧/ ٦.

(٢٦) متى/ ٨/ ٢٦، ١٦/ ٨.

(٢٧) متى/ ١٠/ ١٦.

(٢٨) متى/ ١١/ ٢١، ولوقا/ ١٠/ ١٣.

(٢٩) متى/ ١٢/ ٣٨، ١٦/ ٤.

(٣٠) متى/١٤/ ٣١.

(٣١) متى/١٥/ ١٤.

(٣٢) متى/ ١٥/ ٢٦.

(٣٣) متى/ ١٦/ ٢٣، ومرقس/ ٨/ ٣٣.

تبصرون، ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون؟»[٣٤] (قالها لتلاميذه). «أنتم جعلتموه مغارة لصوص»[٣٥] (المخاطبون هنا هم الباعة الذين طردهم عليه السلام، حسب رواية العهد الجديد، من الهيكل). «أنتم الآن أيها الفريسيّون تنقّون خارج الكأس والقصعة، وأما باطنكم فمملوء اختطافًا وخبثًا. يا أغبياء... ويل لكم أيها الفريسيون... وويل لكم أنتم أيها الناموسيون...»[٣٦]. «هذا الثعلب»[٣٧] (المعنيّ بالكلام هو أحد الفريسيين).

فهذه عيّنة مما جاء في الأناجيل منسوبًا لعيسى عليه السلام من ألفاظ السباب والعبارات الخشنة. وهي ليست مقصورة على الخصوم، بل أُتحِف بها التلاميذ معهم. ويضاف إلى ذلك قول يحيى عليه السلام لمن جاء يتعمد على يديه من الفريسيين والصدوقيين: «يا أولاد الأفاعي»[٣٨]. فأين التأثير النصراني المزعوم الذي جعل البعض (أيُّ بعض؟) ينكرون أن تكون الآيات التي تلعن خصوم الرسول عليه السلام هي جزءًا من القرآن؟ وماذا في لعن المجرمين؟ أم ترى كان ينبغي على الأنبياء والرسل أن يسووا بينهم وبين المؤمنين المُخْبِتين؟

ومما يحاول بوهل أن يبذر به بذور الشك حول سلامة النص القرآني من النقصان إشارته إلى ما يزعمه بعض غلاة الشيعة المنحرفين عن الإسلام من سقوط سورتين كاملتين منه هما سورة «النورين» وسورة «الولاية»[٣٩].

---

(٣٤) مرقس/ ٨/١٧ ـ ١٨.

(٣٥) مرقس/ ١١/١٧، ولوقا/ ١٩/٤٦.

(٣٦) لوقا/ ١١/٣٩ ـ ٥٢.

(٣٧) لوقا/ ١٣/٣٢.

(٣٨) متى/ ٣/٧.

(٣٩) ٢٨٠/٢.

ولا بد من التنبيه أولاً إلى عدم أمانة المستشرق كاتب المادة، إذ يعزو هذا الزعم إلى الشيعة بإطلاق، مع أنه لم يقل به، كما أسلفت، إلا بعض غلاتهم ليس إلا. أما سائرهم فيتبرأون من تلك المقالة. وقد أكد المرتضى والطبرسي، وهما من كبار علمائهم ورؤسائهم، ذلك(٤٠)، وأكده أيضاً عامة علماء الشيعة(٤١). كما أكد عدد من المستشرقين، مثل سير وليم موير وتوماس باتريك هيوز، أن القرآن لم يُحْذَفْ منه أي شيء(٤٢).

أما بالنسبة لتَيْنَك السورتين، اللتين هما في الحقيقة نص واحد بروايتين مختلفتين، فهما لا يمتان للأسلوب القرآني بأية صلة. ولقد درست أسلوب هذا النص دراسة تفصيلية (٤٣) فلم أجده يشبه أسلوب القرآن ولا حتى في آية أو جملة واحدة منه: لا في العبارات، ولا في التراكيب، ولا في الصور، فضلاً عما فيه من ركاكة.

* * *

(٤٠) انظر تفسير الطبرسي للقرآن المسمى «جامع البيان» مجلد ١/ جـ ١/٣٠، ٣١.

(٤١) انظر مثلاً «نص البيان التوضيحي حول دعوى تحريف القرآن» الذي أرسله العالم الشيعي الشيخ محمد الأصفي حول هذه المسألة إلى الأستاذ سالم على البهنساوي ونشره هذا الأخير في كتابه «السنّة المفترى عليها»/ ٩٦ وما بعدها.

(42) T. P. Hughes, Dictionary of Islam, PP. 487 - 489.

(٤٣) وذلك فى كتابى « سورة النُّورَيْن التى يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم».